بسم الله الرحمن الرحيم

**الاستخلاف والعلم في القرآن الكريم ، العلاقة بين الضمور والظهور، إلى أين ؟**

**د. صباح إدريس بوعياد**

**المبحث الأول: النواميس الكونية والسنن الإلاهية في الخلق و الاستخلاف**

قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39( [[1]](#footnote-1)

بعد تدبر في هذه الآيات البينات تبين لي أن خلق آدم كان من أجل الاستخلاف في الأرض ، وأن من شروط هذا الاستخلاف كان العلم فكان تسليح آدم بأسبابه من قدرات واستعدادات هو سبب الوجود وسر السجود .

فكانت القابلية للتعلم مودعة في آدم حتى يتسنى له سبر أغوار الكون الذي سيعيش بين أرجائه ، عالما مكرما حرا لا يستعبده هوى ولا شيطان .فكان الدرس في البداية من الخلق ، وكان الدرس من الجنة ، وكان الدرس من مقاساة الشهوة ، وكان الدرس من مكابدة الوسوسة والغواية.وكان الدرس من التوبة والإنابة ، وكان الدرس من تعليم العليم الحكيم شاملا لأصناف الخلق جميعهم إنسا وجنا وملائكة .فنزل الجميع إلى الأرض باستثناء الملائكة بعد هذا التعليم وبعد هذا التعميم ، ليكون التمحيص ، وليبلو بعضهم ببعض ، وليميز الله الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب ولتكون العودة في النهاية إلى الجنة أو النار تبعا لنتائج الاختيار والاختبار.

من هنا كان موضوع المداخلة قضية أساس ربما هي لب القضايا ، إنها قضية العقل والقلب ومكانهما من الإنسان ، الإنسان الذي ينسى قيمته ومكانته عند الله ، فينحرف عن المسار ، ويضل عن الطريق ، ويعطل القلب عن وظيفته ، ويقصي العقل عن عمله ، فيقع في ظلمات بعضها فوق بعض ، تحجب عنه الحقيقة ، وتدلس منه الرؤية ، فتلتبس عليه الأمور ، ولا يعود يرى شيئا .

فيقع فريسة للشيطان يتلاعب به كيف يشاء ، فيكفر بربه ويجحد نعمة خالقه ، ويظلم الناس ويسفك الدماء ويفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، بل ويتجرأ أكثر، فيحرف الكلم عن مواضعه ، ويسمي ذلك كله منه إصلاحا .

**1 - قانون الاستخلاف بين العلم والعدل :**

مذ خلق الله آدم وأنزله إلى الأرض ليكمل الامتحان ، بعد أن تعلم ووعى الدرس ، بأن يتجنب الغرور بالنجاح في أول الأمر .ومذ أسند الله إلى آدم الخلافة ، لينوب عنه في الحكم فيحكم بما علمه الله .ومذ اصطفاه الله لهذا الدور الجلل ، ليحكم بين الناس بالعدل ، ويحافظ على النسل ، وعلى التكريم للنفس البشرية .ويحاكم بحكم الله ، من استسلم للغواية ومن وقع تحت تأثير التدليس والتلبيس من إبليس ، وينزل عليه العقوبة التي يستحقها ، من جنس فعله وذنبه . إذ لا يعقل أن يتغاضى على من يبوء بالذنب أو يقع في الظلم ، أو في القتل للبشرية كلها ، بقتل النفس البشرية الواحدة .

مذ ذاك الحين والبشرية في حاجة ماسة إلى حاكم يحكم بين الناس بالعدل ، ويقيم فيهم شرع الله ، حتى لا يظلم بعضهم بعضا ، ولا يأكل بعضهم بعضا ، ولايقتل بعضهم بعضا .

فكانت هذه مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعا ، ومن ولاهم الله مهمة النيابة عنه في القضاء من سائر أولياء الأمور ، حتى لا تقع الفوضى والهرج والفتنة في الدين والدنيا ، وحتى تتحقق مصالح الناس وتضمن حقوقهم بالسوية .

فلاعجب أن نجد الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام ، قبل أن يتم له أمر تأسيس الدولة في المدينة ، كان قد أرسل أصحابه أولا إلى الحبشة حتى يتنعموا بالأمان في ظل حاكم نصراني كان يحكم بالعدل.

والعدل في الحكم وحماية الحقوق بالسوية هما السمات الأساسية لاستقرار الأمم والدول والمجتمعات ، وهذه لا تتم إلا عبر العلم الذي كان ولايزال في قانون الاستخلاف سنة ماضية و صفة أساسية لابد وأن يكون عليها الحاكم أو الخليفة .

فبالعلم لا بغيره ، استحق آدم أن يكون خليفة في الأرض ، واستحق أن يكون له من الجميع السجود والخضوع ، حتى يحكم بحكم الله ، ويعلم ما علمه الله ، وينشر رسالة الله ، حيث العمل على إعلاء كلمة الله ، وبسط سلطان الله في الأرض .

فبالعلم نزل آدم إلى الأرض ، وبشبه العلم والتضليل نزل عدوه معه ، وقد توعد الانتقام ، منه ومن ذريته ليقعد لهم الصراط المستقيم ، ويصدهم عن السبيل ، ويزين لهم الذنب ، ويوقعهم في المعصية .

نزل آدم إلى الأرض إذا بعد أن وعى الدرس ، وبعد أن علمه ربه كلمات ، يجاهد بها نفسه والشهوات ، كلمات هي جزء لا يتجزأ من الأسماء كلها .

نزل آدم إلى الأرض متعلما سنن الحياة ، مستفيدا من الدرس ، فاختلفت ذريته فيما بعد ، حيث الانتصار أو الانكسار تحت أسر التضليل وتحت سلطة الشهوة والهوى.

اختلفت ذريته في التعامل مع أمر الله ، بين مخلص صادق تقي ، وبين منافق شقي ، رأى نفسه أولى من أخيه ، وأحق منه في نيل صفة القبول ، من رب يعلم السر وأخفى ، وحسدا منه لأخيه هم بقتله ليستريح من المنافس ، وتخلو له الساحة في التقرب إلى الله بالصدقات .

فسن سنة الاعتداء بقتل النفس بغير حق للمخالف التقي ، وعكر صفو ساحة التنافس الشريف في القربات التي هي من صميم الدين الواحد والحق الواحد وللرب الواحد .

وهكذا قتل أحد أبناء آدم أخاه وأفسد في الأرض بسبب الحسد والكبر ، فكان أن صرعه شيطانه وظفر منه بأكبر نصيب ، فسلك درب الشيطان ووالاه وتولاه فكان من حزبه ومن أتباعه .

ومذ ذلك الحين تفرق الإنسان إلى صنفين : أولياء الرحمن و أولياء الشيطان .وصار هؤلاء جميعهم في حرب وتدافع وصراع وتمانع ، لايلتقيان أبدا ، لاختلاف الوجهات والمقاصد ، والنيات والدوافع .

فأرسل الله الرسل عليهم السلام ، بلسان أقوامها ، وبالحجج البينات القواطع ، وأنزل معهم الكتب والشرائع ، وجعلهم للحق والخير مناصرين ، وللعدل ناشرين .

وجعل من هؤلاء الرسل عليهم السلام خلفاء في الأرض ، ينشرون الهدى والنور ، ويخرجون الناس من ظلمات الضلال المبين ، وينتشلون من أراد الله لهم الهدى من براثن الجاهلية.

فانقسم الناس إلى أتباع الرسل وإلى الخصوم ، وانقسم الخصوم إلى الملأ والدهماء وصار هؤلاء بعضهم يشايع بعضا ، وبعضهم يتبع بعضا ، وبعضهم يستأنس ببعض في الكفر والجحود والعناد .

واستغل أصحاب المصالح والنفود الفرصة ، واختاروا الجدل أسلوبا للحجاج والسفسطة أملا في الخلود ، وموهوا الحقيقة وأخفوها وحجبوها عن الأنظار ، ونازعوا أهل الإيمان واليقين في الدين ، وظنوه سلما للمصالح ، وأرادوا الآخرة بالدنيا ، فسعوا إليها مكابرين ومنافقين .

ونازعوا الرسل عليهم السلام الدين والرسالة وتمادوا في غيهم وفي الضلال المبين وأدخلوا أنفسهم في ظلمات وظلمات ليس فيها بصيص من نور ، بل أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، حتى يشاركهم الجميع في هذا الظلام الدامس ، من آثار تدليس وتلبيس إبليس عليهم ، بما كان يوحي إليهم من قاموسه في الكلمات الخبيثة ، ليجادلوا بها رسلهم عليهم السلام ، و ليحرفوا بها الكلم عن مواضعه ، وليتلاعبوا بالمصطلحات ، وليستمر مسلسل الظلام والضلال في التعمية على الحقيقة ، وفي التمويه والتسفيه وفي خداع الأتباع والمقلدين الذين أبوا إلا أن يغلقوا آذانهم ويصروا ويستكبروا استكبارا .

فيستحوذ عليهم الشيطان ، فينسيهم ذكر الله ، فيصبحون حزب الشيطان وأولياءه ، ويخسرون حتما المعركة ، وينصر الله من ينصره من المؤمنين ، الذين يعتبرون حقا من المنتصرين ، على أنفسهم الأمارة بالسوء أولا ، وعلى الشيطان ومكره ثانيا ، وإن كان مكره وأتباعه مما تزول منه الجبال أو تكاد .نصر الله المؤمنين بالعلم الموصول بالله وبالدار الآخرة ، وخذل الكافرين بالنعم والفضل،الناكرين للإحسان والمعروف من مبدعهم ، الجاحدين لفضل من علمهم ووهبهم هذا العلم الذي هم به قد استخلفوا في الأرض ليعمروها عدلا وصدقا وبرا وكرامة وحرية ومساواة وإنصافا بعيدا عن أية عنصرية أو عنجهية .

**2 - وحدة المعرفة ووحدة العلم بعيدا عن التجزيء و التفكيك**

( كلها) : نستشعر من هذه اللفظة معنى عظيما ، نجده حتما بين كلمات المفسرين ، وإن باهتا ، أو مشتتا بين ثنايا الفهوم والتأويلات .

إنه الكل لا الجزء ، الذي منه وفيه تنتظم المعاني كل المعاني ، والعلاقات بعضها ببعض ، وتظهر الوحدة والانسجام ، فما شئت أن تجده وجدته ، من ضروب الفهم ، ومن ضروب القول ، ومن أنواع العلوم والمعارف ، ومن أشكال الإبداعات والاختراعات .

 ففي هذا الإطار الكلي للعلم ، وفي تناغم تام بين العلم والوحي ، وفي ارتباط الكون بمبدعه أساسا ، وفي وحدة المعرفة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية و في الحاجة إلى المصدر والوحي يقول **الدكتور طارق الصادق عبد السلام :** (ذكر علماؤنا الأقدمون أنّ الوحي يشتمل على كافة العلوم إما تفصيلاً أو تأصيلاً، أي: إما بتفاصيلها أو بأصولها، ولا زال الوحي يؤكد أن عجائبه لا تنقضي، وأنّ العلماء كلما أمعنوا النظر فيه خرجوا بحقائق علمية في غاية الدقة. ولما كان الأمر كذلك فقد فقدت المعرفة - باستبعاد الوحي - رافداً من أهم روافدها فدخلت في أزمة خانقة. يقول البروفسير محجوب عبيد عالم الفيزياء الشهير " هذا التصور قد يكون مقبولاً حين كان العلم في بداياته يتدرج نحو صقل طرق القياس وتطوير سبل الاستنباط والاستدلال والبرهان حين كان هذا العلم أقرب إلى حنكة الحرفة منه إلى عمق الفكر والمبدأ، ولكن التطورات المعاصرة في الفيزياء النظرية وعلم الكون والهندسة الوراثية قد تجاوزت ذلك الموقف الشكلي وقربت تطوراتها قضايا هذه العلوم من موضوعات البداية والنهاية وأطلت به على مشارف قضايا كبيرة في العقيدة والفلسفة، وهذه التطورات قد أحرجت الموقف الشكلي البسيط الذي يفصل بين الحقائق العلمية والمذاهب الفكرية وفضحت ضعفه أمام الأبواب المفتوحة نحو إشباع طموح الإنسان في الوقوف على أسرار الخليقة وطبيعة الأشياء). [[2]](#footnote-2)كما يؤكد علماء الطبيعيات أنه ليس هنالك من برهان تجريبي فقط على صدق أي نظرية علمية تتعلق بالعلوم الطبيعية، فهذه النظريات - وانّ كانت مبنية على الملاحظات والحقائق التجريبية - إلا أنّ تشكيل النظريات يقتضي مفاهيم مترابطة ونسقاً متماسكاً؛ وهنا يدخل التصور الذهني الافتراضي الذي لا يمكن التحقق منه تجريبياً .[[3]](#footnote-3)

ولما كان الأمر كما سبق فليس من المعقول إطلاقاً أن ترفض الحقائق الغيبية التي جاء بها الوحي وكانت من الصدق بحيث لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ثم تقبل أخيلة العلماء وتصوراتهم التي لا يمكن التحقق من صدقها تجريبياً... ولا شك أن استخلاص السنن والقوانين الاجتماعية القرآنية ليس بالأمر اليسير الذي يستطيع أن يقول فيه كل من شاء ما شاء، بل لا بد من مختصين يحللون عوامل الربط والتسبيب والاطراد والانتظام في الظواهر الاجتماعية فضلا عن المعرفة بقوانين الاستنباط من الواقع من جهة ومن القرآن من جهة أخرى، وذلك يقتضي المعرفة الدقيقة بالمفاهيم الاجتماعية القرآنية الكلية وما يندرج تحتها من مفاهيم جزئية أو أقل كلية وما ينشأ من تفاعلات بين هذه المفاهيم التي تترتب بصورة منهجية فتشكل النظريات المفسرة للفعل الاجتماعي... والحق أن القرآن العظيم قد اهتم اهتماماً كبيراً بتأسيس الحياة الاجتماعية وما ينشأ فيها من علاقات مختلفة، وأحكام القرآن وأوامره - في الغالب - هي قواعد تصوغ التفاعل الاجتماعي في كافة أشكاله وتحدد الأهداف والوسائل التي تمكّن من تحقيق هذه الأهداف. وما علم الاجتماع عموماً إلا علم يقوم بدراسة التفاعل الاجتماعي ويصوغ هذا التفاعل حسب الأهداف العامة للمجتمع ووسائل ذلك، وغاية ما يصبو إليه هذا العلم هو دراسة هذا التفاعل وتفسيره ووضع القوانين التي تحكمه. [[4]](#footnote-4) وهذا ليس بغريب على القرآن الذي لم يدع شاردة إلا وأتى بها في شأن ضبط المجتمع وتغييره بما يتوافق والقيم التي جاء بها لتقوم مقام أعراف القوم في الجاهلية ، ومما سبق ذكره في قضية الاستخلاف والعلم والعدل ، والسنن التي يمكن استنتاجها من ذلك ، يمكننا أن نحاول بناء نظريات كلية مطردة في علم الاجتماع الذي ما هو إلا تراكمات وخبرات من مجموع التجارب الإنسانية في تفاعلها ونموها وتطورها ، ففي قصص الرسل عليهم السلام مع أقوامهم كما يقصها علينا القرآن الكريم ما يكفي لفهم طبيعة هذا الإنسان وطبيعة المجتمع ودور العرف في تشكيل كل منهما.

**3 - الروح سر من أسرار الله في الخلق والأمر:**

ولا يفوتني هنا أن أنبه إلى أن أفضل ما يمكن أن يقدمه هذا البحث هو خدمة كتاب الله تعالى الخالق الذي أبدع الخلق ووهب الحياة على هذه الأرض ونفخ من روحه في هذا البشر الذي يدب عليها، فأمده من القدرات ، ما به صار يكتشف ويكتشف، وسخر له الكون ليبلغ ما بلغه من العلم في استنطاق بعض من مكنوناته وخفاياه.

ولعل سر الأسرار ولغز الألغاز هو هذه الروح التي بها تسري الحياة في كل خلية من الخلايا وفي كل كائن حي ، هي هذه الحياة التي بها كان الإنسان حيا أو ميتا ، بالمعنيين ، شاهدا على عصره ، يمشي بنوره في الناس هاديا ومهتديا ، نافعا ومحييا ، صالحا ومنتفعا ، أو ميتا في الظلمات يمضي، لا يرى الحق ولا الحقيقة مهما كانت أنوارها تشع من حواليه، ينأى عنها وتنأى عنه ، كالأعمى ما له بصر ، بل كالمشلول ما له يد ولا يد رغم أن يده لاصقة به وموجودة بين جنبيه من فرط الظلمات التي تركبت وتراكمت بعضها فوق بعض في أعماق أعماقه أعاذنا الله من الضلال المبين .

الروح إنها تلكم النفخة العلوية من روح الله ، حلت في آدم ، فجعلت منه إنسانا مكرما ، قادرا على الكلام ، قادرا على التعلم والاستكشاف ، قادرا على التمتع بما سخر الله له ، من أنواع الخيرات ، مرتبطا بالكون ، محاولا تفسير ما يرى من ظواهر ومظاهر ، تجلت فيها عظمة الله حتما ، في الخلق والأمر . إنها الروح تلك التي حيرت العلماء والمتدينين على حد سواء وأعيتهم أن يجدوا لها جوابا .

إنها الروح تلك التي بين جنبي هذا الإنسان الحي ، والتي قد تغادره يوميا ثم قد تعود إليه ، إذا ما استيقظ حيا من نومه أو قد تغادره إلى الأبد إن حلت ساعة منيته أو على الأصح فهي فقط قد تغادر جسده هذا الذي به وبها هو يرى أويسمع أويتحرك ، وبه وبها هو يفكر أويعقل أو يجن أويعلم أو يتعالم أو يجهل أويتجاهل أو يؤمن أو يكفر....وفي هذا الشأن الدقيق من رحلة الروح اليومية المتجددة نجد البروفيسور آرثر أليسون[[5]](#footnote-5) يقول: ( الأبحاث التي أجريت في مجال الباراسيكولوجي أكدت أن هناك شيئا ما يخرج من الجسم يعود في حالة النوم ، ولايعود في حالة الموت ، وكل هذا قادنا إلى أن هناك علاقة وثيقة بين ما وجدناه من بحوث وبين القرآن الكريم . ) [[6]](#footnote-6)

 القرآن الكريم هنا يتحدث عن الروح في رحلتها عبر النوم كموتة أولى تتكرر يوميا لمن أراد أن يتدبر من خلال هذه الآية الكريمة من قوله تعالى : ( الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى . ) [[7]](#footnote-7) فهذا العالم بحكم تخصصه الدقيق قاده هذا الاكتشاف إلى الإسلام فأسلم وتسمى بعبد الله أليسون في حين لم يزد هذا الاكتشاف عندنا بعض البشر إلا عنادا وجحودا وجهلا وسفسطة من الكلام وجنونا بالعظمة الموهومة التي تغلق على المرء العقل والبصيرة ، فيشتغل بالمشتتات والمشوشات على الحقيقة ، فتحجب عنه ، كما يحجب عن الأعمى ضوء القمر ليلة كونه بدرا. وبسبب هذه الروح آمن من آمن وكفر من كفر من البشر ، وبسبب منها أيضا انقسم الناس إلى مؤمن أوكافر ، شقي أو سعيد .

**المبحث الثاني : العلم وقضايا من الإعجاز العلمي**

**1 - الموقف من هذا الإعجاز بين القبول والرفض :** في الإنكار على من يستنكر ضروبا من هذا النوع من الإعجاز نجد الإمام الرازي كان يقول : (ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال : إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم،وذلك خلاف المعتاد ، فيقال لهذا المسكين : إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته...إن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة ، بأحوال خلق السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام ، وأحوال الشمس والقمر والنجوم ، وذكر هذه الأمور في أكثر السور، وكررها وأعادها مرة بعد أخرى ، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزا ، لما ملأ الله كتابه منها ...)[[8]](#footnote-8) ولعل بعضا من هذا الذي كان قد انتقده الرازي وقع فيه الشاطبي فيما بعد في كتابه الموافقات قال : ( إن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها،وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح ...) [[9]](#footnote-9) فهل الشاطبي هنا ينبذ التكلف وإقحام كل المسائل والقضايا في تفسيرالقرآن وإن بعدت المناسبة وانتفى الشرط أم تراه ينتقد من يجتهد وفق تخصصه لفهم كتاب الله تعالى على العموم ؟ بل إننا نجد محمد عزة دروزة وهو من المعاصرين كان قد بلغ به الحد في رفض هذا الضرب من الإعجاز العلمي إلى المدى الذي جعله يقول :(مما يدل على دقة المفسر في فهم كتاب الله تعالى ورجاحة عقله،رفضه وإنكاره استخراج النظريات العلمية والفنية والكونية من الآيات القرآنية للتدليل على صدق القرآن وإعجازه ) [[10]](#footnote-10)ولعل هذه المواقف المتضاربة الواقعة بين طرفي نقيض قد عمرت عندنا طويلا حتى يمكننا وسمها بالخلود في الموقف من الإعجاز الذي إنما هواستجابة لأمر الله في التدبر عبر مختلف العصور والعلوم والتخصصات والفنون. فلنتأمل كيف يكون الكلام أحيانا ضربا من العبث ، إذ كيف يعقل رفض ما يخدم كتاب الله تعالى من سائر أنواع التدبر، وما المانع منها إذا كانت مجرد اجتهادات وتأويلات من أولي العلم وأهل الفن وذوي التخصص.

**2 - قصة الكفر والإيمان بين العلم والقرآن**

ولنتأمل في قوله تعالى : ( والَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُور.) [[11]](#footnote-11) تأملت في هذه الآيات البينات ، فإذا التشبيه قمة في البلاغة ، إذ يستغرب الإنسان من كفر العلماء والعقلاء من بني البشر ، كيف يعقل أن يكفروا بما أنزل الله ، وبين أيديهم الحجج القواطع ، وهم أصلا من يصل إليها ، ويحقق فيها ، إلا أن تكون تلك الأيادي ، وقد لامست ولمست الحقيقة حسا وتجربة ، هي في ظلمات مطبقة ، لا يكاد يراها صاحبها ، وكأنها ليست له بيد . فما أحلكها من ظلمات هاته التي تحجب الحقيقة عن اليد وصاحبها ، فما بالك ببصره ، وبصيرته ، وقد غشاها الظلام والظلام والظلام الدامس الذي لم يعد معه أي نور ينفع ، أعاذنا الله من الضلال البعيد . فهاهم أهل الكتاب قبلنا ، ألم يكن الكتاب ، والمعجزات البينات بين أيديهم ، ومع ذلك أبوا إلا أن يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، فصاروا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويتلاعبون بأصحاب العقول الخفاف ، ويحتكرون هذه الأوهام ، التي يلبسونها لباس الدين ، فيصبحون المتكلمون باسم الدين ، الذي ابتدعوه ، عابدين الطاغوت والهوى يستأنس بعضهم ببعض في هذا الإفك والبهتان المبين .

لقد شبّه القرآن أعمال الكفار بالسراب، ونحن نعلم بأن ظاهرة السراب عبارة عن لا شيء ، ثم شبَّه هذه الأعمال بالظلمات التي في أعماق البحار، ونعلم أن الظلام عبارة عن لا شيء أيضاً.

إذن التشبيه القرآني دقيق جداً من الناحية العلمية، لأن الظلام الموجود في أعماق البحر شبه كامل، ولكن ماذا يعني أن يصف الله تعالى حالة إنسان كهذا يعيش في ظلمات وأعماق البحار الباردة عندما يخرج يده فلا يراها؟

إن القرآن العظيم لا يتحدث إلا عن حقائق يقينية واقعة، وبما أن الله تبارك وتعالى قد وصف لنا حالة من يعيش تحت أمواج البحر العميقة، وحاله هي ( إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ) فهو بذلك يشير حتما إلى عصر الغواصات .

وكأن الله عز وجل يقول للذين كفروا : انظروا إلى أعمالكم الخاطئة فهي لن توصلكم إلى شيء ، فإنها كالسراب الذي لن يوصل من يتبعه إلى شيء، وهي كإنسان يعيش تحت بحر عميق يعاني ظلمة البحر وظلمة الماء البارد، ويعاني الضغوط الهائلة التي يمارسها عليه الماء، فكيف ستكون حياته ؟[[12]](#footnote-12)

**3 - دور الإعجاز العلمي في الوصول إلى الإيمان :** ويكفي إعلان القرآن عن خفايا النشأة الأولى قبل أن يدركها بشر كدليل على صدق التنزيل متوافقة تمامًا مع الكشوف العلمية مصداقًا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [[13]](#footnote-13)

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [[14]](#footnote-14)

وقد جاءت الكشوف العلمية في كل مجالات العلوم شاهدةً للقرآن الكريم بالسبق, وأحدث اكتشاف قد نال أصحابه جائزة نوبل في الفيزياء لهذا العام 2011, وهو يعلن أن الكون على مستوى المجرات البعيدة يبدو في توسع يتسارع مع الابتعاد مما يؤكد أن له ابتداء؛ يعني لحظة خلق, وهو ما أعلنته مسبقا نظرية الانفجار الكبير Big Bang وأكده الاكتشاف الجديد باستخدام وسائل أحدث. وفي قوله تعالى: (وَالسّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُون) [[15]](#footnote-15) فعل (البناء) بالماضي يفيد التكامل, والصيغة (مُوسِعُونَ) من السعة في القدرة, وهي غير الصيغة (مُوَسِّعُون) من التوسعة في الحيز؛ أي نوسعها دومًا .

و لفظ (مُوسِعُونَ) أي قادرون على إعادتها كما هو قول جمهور المفسرين مصداقًا لقوله تعالى( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [[16]](#footnote-16)

اضطر الفيزيائي ستيفن هوكنج إلى الاعتراف دافعًا الفوضى بقوله: ليس كل تاريخ العلم إلا التحقق التدريجي من أن الأحداث لم تقع بطريقة اعتباطية ؛ وطعن في الإلحاد بقوله: "طالما أن للكون بداية

فحتما لا بد من خالق"[[17]](#footnote-17)

وبالمثل دفع إتقان التصميم في الكون الفيزيائي روس إلى الاعتراف أيضًا بقوله صريحًا : "عندما أبحث عن إلحادي لأناقشه أذهب إلى قسم الفلسفة في الجامعة ؛ لأنه لم يبق في علم الفيزياء Physics شيء يدل عليه".[[18]](#footnote-18)

وبالمثل قال ألفريد هويل: "تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أن كل انفجار يبعثر المادة دون نظام، ولكن الانفجار الكبير عمل العكس، إذ عمل على جمع المادة وفق تصميم وقدرة فريدة لتشكيل المجرات والنجوم والتوابع ونشأة الإنسان على هذه الأرض"

 وقال جورج كرنشتاين: "كلما دقَّقنا في الأدلة التي يقدمها الكون المفتوح الصفحات أمامنا واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها، وهي أن هناك قدرة إلهية خلف بدء الخلق وكافة الأحداث"

قال ماكس بلانك: "ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية على باب محراب العلم: تَحلَّى بالإيمان"

 وقال الدكتور مايكل بيهي: "على مدى الأربعين سنة الماضية اكتشف علوم الحياة أسرار الخلية، واستلزم ذلك من عشرات الآلاف من الأشخاص تكريس أفضل سنوات حياتهم, وتجسَّدت نتيجة كل هذه الجهود المتراكمة لدراسة الخلية في صرخة عالية تقول: التصميم المُوَجَّه الرشيد Directed Design Rationally؛ وهو يؤدي حتماً إلى التسليم بوجود الخالق المُبدع"

وقد وصف تشاندرا كراماسنغي الحقيقة بقوله: "تعرض دماغي لعملية غسيل هائلة كي أعتقدَ أن العلوم لا يمكن أن تتوافق مع أي نوع من أنواع الخلق المقصود, (ولكني الآن) لا أستطيع أن أجد أية حجة يقبلها العقل تستطيع الوقوف أمام دلائل قدرة الخالق حولنا؛ الآن ندرك أن الإجابة المنطقية الوحيدة لظهور الوجود هي الخلق وليس الخبط العشوائي غير المقصود"

قال تعالى :(وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون .) [[19]](#footnote-19)

**المبحث الثالث : اللغة و الإعجاز البياني في القرآن الكريم**

**1- الإعجاز البياني بين اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز:**

تحدث عبد القاهر الجرجاني عن الإعجاز اللغوي في رسالتين : (الشافية)و(دلائل الإعجاز) لكن الجرجاني لم يرتب كتابه (دلائل الإعجاز ) كما ينبغي على رأي الإمام فخر الدين الرازي قال موضحا هذه المسألة : (أهمل رعاية ترتيب الفصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب. ) [[20]](#footnote-20)والحق مع الفخر في هذه المسألة ، لأن كتاب دلائل الإعجاز يتعب من أراد أن يتتبع مسائله ويتابع كلامه المسترسل في الحجاج ورد أقوال الطاعنين في النحو أو الشعر أو البيان لإثبات إعجاز القرآن .

فكم أطنب الجرجاني وهو يعيب على أهل زمانه ممن كان يستبعد اللغة والبيان عن موضوع الإعجاز بدعوى أن المعجزة ليست خاصة بالعرب بل تشمل العجم أيضا ، وكم كان يحاججهم بالدليل والبرهان.

ومن كان يقول بالصرفة آنذاك كان وكأنه بذلك يصرف الناس عن الإعجاز اللغوي بدعوى أن العرب ليسوا وحدهم المعنيين بالإعجاز ، والصرفة قول ملغ للإعجاز من الأساس بدعوى أن الله صرف العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن ولذلك عجزوا عن الإتيان بمثله ، ولو لم يصرفهم لما عجزوا ، ولست أدري لماذا هذا التحكم والهوى ، واللفظ في القرآن كما المعنى كما الحكم كما النظم ، كل ذلك معجز وقائم فيه التحدي ، ولو كان العرب مصروفون اضطرارا ، فهل هناك من معنى لإقامة التحدي عليهم بالإتيان بمثل هذا القرآن ، ولو في عشر آيات منه ، ومطالبتهم بالإتيان بمثله في آيات وآيات من الذكر الحكيم .

يقول الباقلاني : ( نظم القرآن يجمع بين الوجوه الكثيرة ، فيجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب بينما يتفاوت كلام الفصحاء تفاوتا بينا في ضم وجمع الكلام المتنافر) وفي الإعجاز في المعنى والحكم والتركيب في خضم الجدل والمحاججة للملحدين ، يقول الباقلاني : (المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة ، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة،مما يتعذر على البشر ويمتنع ) [[21]](#footnote-21)

ولو فقهوا ما كان يرمي إليه ما جادلوه ، لأنه أكد على أن الإعجاز يتم من حيث علاقة اللفظ بالمعنى وليس من حيث هو لفظ مفرد فقط ، وأن الألفاظ إنما تتم لها المعاني إذا فهمت من السياق الذي وردت فيه كاملا وليس مفصولة عن بعضها .

يقول الجرجاني في هذا المعنى : بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وعليه اعتمادي اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد وهذا علم شريف وأصل عظيم ... والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته . وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرفها بها حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا رجل وفرس ودار لما كان يكون لنا علم بمعانيها .وحتى لو لم يكونوا قالوا فعل ويفعل لما كنا نعرف الخبر في نفسه ومن أصله ولو لم يكونوا قد قالوا افعل لما كنا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا ، وحتى لو لم يكونوا قد وضعوا الحروف ، لكنا نجهل معانيها فلا نعقل نفيا ولا نهيا ولا استفهاما ولا استثناء . وكيف والمواضعة لا تكون ولا تتصور إلا على معلوم فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم .ولأن المواضعة كالإشارة فكما أنك إذا قلت خذ ذاك لم تكن هذه الإشارة لتعرف السامع المشار إليه في نفسه ولكن ليعلم أنه المقصود من بين سائر الأشياء التي تراها وتبصرها ، كذلك حكم اللفظ مع ما وضع له.ومن هذا الذي يشك أنا لم نعرف الرجل والفرس والضرب والقتل إلا من أساميها لو كان لذلك مساغ في العقل لكان ينبغي إذا قيل زيد أن تعرف المسمى بهذا الاسم من غير أن تكون قد شاهدته أو ذكر لك بصفة .وإذا قلنا في العلم واللغات من مبتدأ الأمر إنه كان إلهاما ، فإن الإلهام في ذلك إنما يكون بين شيئين يكون أحدهما مثبتا والآخر مثبتا له ، أو يكون أحدهما منفيا والآخر منفيا عنه ، وأنه لا يتصور مثبت من غير مثبت له ، ومنفي من غير منفي عنه ، فلما كان الأمر كذلك أوجب ذلك أن لا يعقل إلا من مجموع جملة فعل واسم : كقولنا خرج زيد أو اسم واسم :كقولنا زيد خارج ، فما عقلناه منه وهو نسبة الخروج إلى زيد لا يرجع إلى معاني اللغات ولكن إلى كون ألفاظ اللغات سمات لذلك المعنى وكونها مرادة بها.أفلا ترى إلى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أفترى أنه قيل لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء وهم لا يعرفون المشار إليهم بهؤلاء ثم إنا إذا نظرنا في المعاني التي يصفها العقلاء بأنها معان مستنبطة ولطائف مستخرجة ويجعلون لها اختصاصا بقائل دون قائل: كمثل قولهم في معان من الشعر إنه معنى لم يسبق إليه فلان وإنه الذي فطن له واستخرجه وإنه الذي غاص عليه بفكره وإنه أبو عذره لم تجد تلك المعاني في الأمر الأعم شيئا غير الخبر الذي هو إثبات المعنى للشيء ونفيه عنه .يدلك على ذلك أنا لا ننظر إلى شيء من المعاني الغريبة التي تختص بقائل دون قائل إلا وجدت الأصل فيه والأساس الإثبات والنفي وإن أردت في ذلك مثالا فانظر إلى بيت الفرزدق (الطويل)

 وما حملت أم امرىء في ضلوعها أعق من الجاني عليها هجائيا

فإنك إذا نظرت لم تشك في الأصل والأساس هو قوله : وما حملت أم امرىء ، وأن ما جاوز ذلك من الكلمات إلى آخر البيت مستند إليه ومبني عليه وأنك إن رفعته لم تجد لشيء منها بيانا ولا رأيت لذكرها معنى بل ترى ذكرك لها إن ذكرتها هذيانا ......[[22]](#footnote-22) قد فرغنا الآن من الكلام على جنس المزية وأنها من حيز المعاني دون الألفاظ وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك وتعمل رويتك وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك.[[23]](#footnote-23)

**2 - الحقيقة والمجاز فن من فنون هذا النوع من الإعجاز**

ولنتأمل أكثر عند تحليله للآيات وتمثيله بها واحتجاجه بالدليل يستنهض بذلك الهمم لدى فاقدي الذوق اللساني والبياني من المفسرين .

وفي قوله تعالى ( إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) أي لمن كان أعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر والتفكر والنظر فيما ينبغي أن ينظر فيه .

فهذا على أن يجعل الذي لا يعي ولا يسمع ولا ينظر ولا يتفكر كأنه قد عدم القلب من حيث عدم الانتفاع به وفاته الذي هو فائدة القلب والمطلوب منه ، كما جعل الذي لا ينتفع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يؤديان إليه ولا يحصل من رؤية ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة بمنزلة من لا سمع له ولا بصر .

فأما تفسير من يفسره على أنه بمعنى من كان له عقل فإنه إنما يصح على أن يكون قد أراد الدلالة على الغرض على الجملة .

فأما أن يؤخذ به على هذا الظاهر حتى كأن القلب اسم للعقل كما يتوهمه أهل الحشو ومن لا يعرف مخارج الكلام فمحال باطل لأنه يؤدي إلى إبطال الغرض من الآية وإلى تحريف الكلام عن صورته وإزالة المعنى عن جهته .وذاك أن المراد به الحث على النظر والتقريع على تركه وذم من يخل به ويغفل عنه ولا يحصل ذلك إلا بالطريق الذي قدمته وإلا بأن يكون قد جعل من لا يفقه بقلبه ولا ينظر ولا يتفكر كأنه ليس بذي قلب كما يجعل كأنه جماد وكأنه ميت لا يشعر ولا يحس . وليس سبيل من فسر القلب هاهنا على العقل إلا سبيل من فسر عليه العين والسمع في قول الناس هذا بين لمن كانت له عين ولمن كان له سمع وفسر العمى والصمم والموت في صفة من يوصف بالجهالة على مجرد الجهل وأجرى جميع ذلك عل الظاهر فاعرفه . ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يتوهموا أبدا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة .. .وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه ، وجعلوا يكثرون في غير طائل ، هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد قدحوا به .[[24]](#footnote-24)

**3 – فضل القرآن على تطور اللغة العربية :** فلا عجب أن نجد الرافعي بعد ذلك يقول : إن القرآن كان علم البلاغة عند العرب ، ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم.[[25]](#footnote-25) ولنتأمل في كلام ابن فارس عن النقلة التي وقعت على اللغة بمجيء الإسلام ، وعن التطور الذي عرفته من خلال القرآن الكريم وأحكامه وآدابه وقيمه وأخلاقه وهديه ومنهاجه ، قال : ( كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ) [[26]](#footnote-26) من هنا طرحت أسئلة حقيقية عن فضل القرآن على اللغة العربية وعلى العرب وأثيرت مشكلات قد تكون أحيانا من لغو الكلم أو من فضول العلم عن الحقيقة والمجاز ، حتى بلغ الحد بالزركشي أن يذهب إلى أن الألفاظ الشرعية والعرفية إنما صارت كذلك بكثرة الاستعمال لا بالتواضع السابق ، وأن يقول: إن العرف بغلبة الاستعمال يقوم مقام ابتداء المواضعة.[[27]](#footnote-27)

وهنا لابد من مراجعة هذا الكلام ، لأن العرف في اللغة لا يجيب عن السؤال عن مبدأ اللغات أبدا ، وعن مرحلة ما قبل أن تصير اللغة عرفا ، فالعرف إذا لن يقوم أبدا مقام ابتداء المواضعة ، خاصة وأننا نلاحظ على الزركشي أنه لم يقتصر على الأسماء اللغوية بل عمد أيضا إلى تعميم قاعدته تلك على الأسماء الشرعية كالزكاة مثلا في الاستعمال القرآني .

 فمن يجرؤ بعد ذلك على القول بانتقال اللغة من المواضعة إلى العرف بغلبة الاستعمال في الأسماء الشرعية ، والله تعالى هو من جاء بأحكام هذه العبادات في محكم التنزيل ، ولم يكن للاستعمال أو غلبته فيها أي دور ، بل لم تكن معروفة قبل عند العرب ولا غيرهم بصفاتها ومقاديرها وأحكامها نهائيا ؟

ومع هذا فقد اعتبر بعض الباحثين كثرة الاستعمال معيارا لصفة المصطلحية ومن أهم الإشارات الدالة على عمق النظر إلى المصطلح القرآني ذلك أنه عنده هو كل لفظ استعمل في القرآن الكريم بدلالة معينة تطرد كليا أو جزئيا في كل موارده...[[28]](#footnote-28)

ولعل الأمور بمقاصدها عند الدارسين والباحثين ، فلذلك اختلفت اصطلاحاتهم واستنتاجاتهم وتحليلاتهم وتعليلاتهم وهم يفسرون أو يتدبرون أو يتفكرون .

ولعل من أجمل الكلمات الجامعة والكليات المانعة الناتجة عن الدرس والفحص تلكم الكليات التي أوردها الطبري في تفسيره متدبرا كثرة الاستعمال ، قال : كل شيء في القرآن من زكى أو تزكى ، فهو الإسلام . كل شيء في القرآن سلطان فهو حجة . كل شيء في القرآن السيئة فهو الشرك . كل شيء في القرآن السياحة : هم الصائمون . كل ظن في القرآن يقين . كل فسق في القرآن فمعناه الكذب ) [[29]](#footnote-29)

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول كما قال غيرنا من الباحثين في الإعجاز المعجبين بنتائجه واستثماراته : في العصر الحديث كان للمبحث في إعجاز القرآن مكانا متميزا من الدراسة ، وقد تنوعت مجالات البحث في الإعجاز ، وكان للإعجاز العلمي في هذا العصر صيتا ذائعا ، وخاصة من الناحية الإعلامية نظرا لظروف الانفجار المعرفي ، والانفتاح العلمي على الغرب .

أما الإعجاز الدلالي بأنواعه فقد كان امتدادا للجهود السابقة في هذا المجال ، كما نال بعض هذه البحوث على تميز ظاهر ، وتجديد في العرض ، ودقة في التأمل ، ومزيد من الاستقصاء . [[30]](#footnote-30)

وحسبنا هنا أن نكون قد عرجنا على بعض من فيض معاني قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها ، إذ ستبقى بإذن الله تعالى دائما وأبدا ، منهلا يرتوي منه الباحثون ماء زلالا ، ويغترفون من ضروب طعامه شتى أنواعه ، ومن فنون الكلام أشهى معانيه ، ومن مناحي القول أعذب أذواقه ، ومن نواحي العلم أعمق أنظاره ، ومن آفاق الكون أدق أسراره ، إذ تنتظم في كل ذلك أسمى المعاني الممكنة ، وأعلى العلوم المتنوعة ، لتهديك إلى أغلى القدرات المختلفة ، التي يمتلكها هذا الإنسان الذي علمه ربه فتعلم ، ونفخ فيه من روحه فانطلق يتأمل ، فيما حوله من خفايا الكون ، ودقائق اللغة ، وأسرار الخلق .

من هنا كان الخلق للغة هو من جنس الخلق للسان بمختلف لغاته ، ومن جنس الخلق للإنسان نفسه مختلفا عن الآخر في شكله ولونه ، وفي عقله وعلمه ، وفي إيمانه أو كفره ، وفي ضلاله وغيه أو في هدايته وبره ، وفي ظلمه وبغيه أو في عدله وإنصافه ، وفي صدقه أو كذبه ، وفي إخلاصه أو نفاقه .

واللغة من خلق الله ، والعلم من تعليم الله ، والعلم من غير لغة لا يكون ، كما أن اللغة من غير علم لاتنفع أو تشفع ، لذلك كان من الضرورة ربط العلم باللغة وبالدين وإلا كان الإفلاس والضلال المبين.

**فهرس المصادر والمرا**جع

أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية محجوب عبيد." أوراق ندوة إسلام المعرفة".

الإشارات العلمية والإعجاز القرآني د. حسن الطوير .بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس الغرب العدد العشرون سنة 2003

إعجاز القرآن: للباقلاني تـــ 403 هـ تحقيق السيد أحمد صقر نشر دار المعارف مصر .الطبعة الثالثة

البحر المحيط في أصول الفقه الزركشي مراجعة عمر سليمان الأشقر طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت 1982م

البرهان في علوم القرآن للزركشي تـ794 هـ تحقيق مجمد إبراهيم.نشر دار المعرفة .بيروت4 مجلدات

جهود العلماء في بيان إعجاز القرآن محمد بن موسى الشريف ط:1433هـ 2012م قدم البحث في بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم و علومه الكتاب الثالث سنة 1432هـ -2011 م

جهود العلماء في خدمة القرآن الكريم في مدينة فاس بالمغرب المحور الثالث المؤتمر انعقد في 11-13 جمادى الأولى 1432هـ 15-17 أبريل 2011م

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني .قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر . ط5 1424هـ مكتبة المعارف الرياض

الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس باب الأسماء الإسلامية المكتبة السلفية القاهرة، 1910 م

منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، امزيان: محمد محمد المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1991م.

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي تــ606 هـ تحقيقد.أحمدحجازي السقا.المكتب الثقافي لقاهرة1989م

**فهرس المواضيع**

المبحث الأول: النواميس الكونية والسنن الإلاهية في الخلق و الاستخلاف **1**

1 - قانون الاستخلاف بين العلم والعدل 2

2 - وحدة المعرفة ووحدة العلم بعيدا عن التجزيء و التفكيك 5

3 - الروح سر من أسرار الله في الخلق والأمر 7

المبحث الثاني : العلم وقضايا من الإعجاز العلمي 8

1 - الموقف من هذا الإعجاز بين القبول والرفض 8

2 - قصة الكفر والإيمان بين العلم والقرآن 9

3 - دور الإعجاز العلمي في الوصول إلى الإيمان 10

المبحث الثالث : اللغة و الإعجاز البياني في القرآن الكريم 13

1-الإعجاز البياني بين اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز13

2 - الحقيقة والمجاز فن من فنون هذا النوع من الإعجاز 15

3 – فضل القرآن على تطور اللغة العربية 16

فهرس المصادر والمراجع 19

فهرس المواضيع 20

عنوان البريد الإلكتروني هذا محمي من روبوتات السبام. يجب عليك تفعيل الجافاسكربت لرؤيته.

1. - سورة البقرة الآيات :30 - 39 [↑](#footnote-ref-1)
2. - أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية ص 318" محجوب عبيد "أوراق ندوة إسلام المعرفة". [↑](#footnote-ref-2)
3. - الدكتور طارق الصادق عبد السلام tarigimam2002@yahoo.com [↑](#footnote-ref-3)
4. [↑](#footnote-ref-4)
5. - كان يشغل منصب رئيس جمعية الدراسات النفسية والروحية ببريطانيا لمدة 6 سنوات . [↑](#footnote-ref-5)
6. - من كتاب الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم ص: 5-7 [↑](#footnote-ref-6)
7. - الزمر : 42 [↑](#footnote-ref-7)
8. - تفسير الرازي:14/122 [↑](#footnote-ref-8)
9. - الموافقات 2/81 [↑](#footnote-ref-9)
10. - الإشارات العلمية والإعجاز القرآني : 639 د. حسن الطوير .بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس الغرب :العدد العشرون سنة 2003 [↑](#footnote-ref-10)
11. - سورة النور الآية 49 [↑](#footnote-ref-11)
12. - من موقع كحيل في الإعجاز باختصار وتصرف [↑](#footnote-ref-12)
13. 13 - فصلت 53 [↑](#footnote-ref-13)
14. 14- العنكبوت 20

15– الذاريات 47 [↑](#footnote-ref-14)
15. 16 - الأنبياء : 104 [↑](#footnote-ref-15)
16. 17 - في كتابه تاريخ موجز للزمن : ص 140 وص 122

 [↑](#footnote-ref-16)
17. 18 - في كتابه الكون والخالق ص122 [↑](#footnote-ref-17)
18. 19 - النمل : 93 [↑](#footnote-ref-18)
19. [↑](#footnote-ref-19)
20. - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي الفخر ص :51 [↑](#footnote-ref-20)
21. - إعجاز القرآن: 38-42 للباقلاني تـ 403 هـ تحقيق السيد أحمد صقر نشر دار المعارف مصر .الطبعة الثالثة [↑](#footnote-ref-21)
22. - دلائل الإعجاز ص: 330 [↑](#footnote-ref-22)
23. - دلائل الإعجاز ص : 64 [↑](#footnote-ref-23)
24. - دلائل الإعجاز ص : 304 باب اللفظ والنظم [↑](#footnote-ref-24)
25. - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : 257 مصطفى صادق الرافعي تـ 1356 هـ [↑](#footnote-ref-25)
26. - الصاحبي في فقه اللغة : 17 لابن فارس باب الأسماء الإسلامية المكتبة السلفية القاهرة، 1910 م [↑](#footnote-ref-26)
27. - البحر المحيط في أصول الفقه : 2/155 الزركشي مراجعة عمر سليمان الأشقر طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت 1982 م

 - من مواضع متفرقة من جامع البيان جمعتها د. فريدة زمرد في بحثها عن جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني المسار والمصير :552 – 565 الكتاب الثالث من بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه1432هـ - 2011 م [↑](#footnote-ref-27)
28. - نفس المرجع [↑](#footnote-ref-28)
29. [↑](#footnote-ref-29)
30. -. جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه..المحور الثالث . ص:695 الاستعارة التمثيلية في تفسير التحرير والتنوير علي العطار جامعة الأزهر .من موضوع : التفسير النحوي للقرآن الكريم :تاريخه ومجالاته .د.فريد السليم جامعة القصيم . [↑](#footnote-ref-30)